القرون ما تزال رسالة علويّة سنيّة. ولو أن العالم اقتبلها وفهمها وعمل بها لما كانت مشكلاته وويلاته. ولا كانت محنة فلسطين. ولكن العالم اقتبلها بلسانه ونبذها بقلبه. ونحن في جملة الذين اقتبلوها في أفواههم وما أسكنوها قلوبهم. ولا أقول إن العالم قد أفسد تلك الرسالة. فهي أطهر من أن يتطرّق إليها أيّ فساد. وأقول إنّ العالم قد فسدت خميرته. فهو في حاجة إلى خميرة جديدة طاهرة من عفن البغض والشحناء والتهالك على الحطام والاستماتة في سبيل ملذّات ساعة لا تلبث أن تنقلب إلى أوجاع دهر.

ومَن أحرى منّا بتقديم تلك الخميرة إلى العالم؟ ومَن أحرى من هذا الشرق بتجديد الرسالة التي شعّت على العالم من قلبه ومن خياله؟ مَن أجدر منّا بشقّ طريقٍ جديدٍ أمامَ هذا العالم التائه ما بين بصره وبطنه؟

نحن اليوم في شدّة. والشدائد محكّ الرجال. فهل لنا من إيماننا بأنفسنا وبحقنا ما يجعل من الشدائد مطايا لنا طيّعة إلى أهدافٍ أبعد من أهداف الساعة، وإلى آفاق تتلاشى عندها الشدائد كما تتلاشى غيمة في الصيف؟

أننسى أنّنا هرّمنا آلاف الأجيال فما هرّمتنا الأجيال؟ وأنّ لنا في تربة الزمان جذوراً قوية تمتدّ حتى منبت الزمان.